وزارة الثقافــة
المجلس الأعلى للثقافة

ثقافــــــة الصحـــــــراء

و

أدب الباديــة

ملامح الشعر البدوى فى بادية سيناء

اعــداد :

حاتـم عبـدالهـادى السيـد

١٩٩٨/١٩٩٩م

{ شاعــر الميــدان }
الشيخ صبيح أبورويعى

قرية الميدان إحدى قرى محافظة شمال سيناء ويبلغ الشيخ صبيح أبو رويعى من العمر التسعين عاماً ويقارب المائة ويعيش فى الصحراء بعيداً عن صخب المدينة ،وهو كما رأيناه رجل متدين وكبير عائلة السواركة وشاعرها .

وأغلب شعره – لم يدون وهو يؤلف قصيدته فى ذاكرته ويرددها على المستمعين ثم سيحفظونها ويدونونها فى ذاكرتهم أيضاً أى أنه يؤلف ويروى ويحفظ القصيدة فى الذاكرة ويستدعيها وقتما يشاء دون تدوين وهذه موهبة وهبها الله إياه وتدل على ذكاء ألمعى ولم لا وهويعيش فى البادية حيث الهدوء والصفاء والجلال ؟! .

إن هذا الشاعر يستحق منا كل تقدير واحترام ، وقد عرف البدو منزلة هذا الشاعر فجعلوه شيخاً لشعرائهم ، يقول فى قصيدته " وصية " :

اتقـــل جميـــل اللى بينقـــل جميــلك   واترك جميل اللى بينسى التجاميـــل
واسكـــن مـــع اللى يسير كيله بكيلك   وابعد عن اللى بالخطا يعرم الكيـــل
واسكن مع اللى ان شال عنك يشيــلك   وابعد عن اللى يدشر الجار ويشيل
واصحى تخلى عداك تعرف حقيـــلك   تـــــراه عـــدوك يهدنك هدنـــة السيل
واصحى تخلى اللى تَصَغى كفيـــلك   فيهم مـــن اللـــى عرضته يرد الجيل
واحسب حساب الموت نهارك ولـيـلك   وحـــذر عـــزالك للسفر والتراحيـــل
ولا تخلـى ابليس يغـــدى دليـــلك   يوقعـك ويهتكـــوك الرجاجيـــل
ولاتغيـــر نيتـــك عــــن وكيـــلك   وامسك عنان الراس لاتمسك الذيـل
خللك تقــــول حصــــان عالى صهيلك   فى اول هداده لن سمع دزة الخيـل

ويتميز شعر شاعرنا /صبيح أبورويعى بالسهولة وعدم الغلظة واختيار الألفاظ الصعبة المعجمية فخرج شعره سلساً جزلاً بعيداً عن التكلف كذلك فإنه يختار لقصائده البحور القريبة من الوجدان والسهلة على اللسان والقريبة من الآذان مثل بحر الرجز ،والكامل والبسيط وموضوعات قصائده تتنوع بين الفخر والوصية والحماسة والمدح ، كما أن هذا الشاعر يتميز بخفة الظل

فى قصائده وأعنى " القصيدة الفكاهية " التى تقترب من الزجل فى شعرنا العامى .. وفى قصيدته الأم " يصور لنا شاعرنا حالة الأم تجاه ولدها وخوفها الدائم على فلذة كبدها ، كما أنها تتمنى ان ترى ولدها فى أرفع وأسمى المناصب يقول :

أمِّيه وأبـــــوى مثـــل دار جديـــــدة
فى وســـــط البـــــلاد اللى منـــور فلاها

والأم عد اللـــــى بيفهـــم فقيـــدة
وقليليـــن اللـــى ردوا جـــــزاهــــــا

من يـــــوم يرضـــع الطفل ديـــده
واربع سنين وهى تشيله على ايديها

وضبضيه يوم الليالى السريـــــــرة
ومن الغـــلاوة تنومـــه فى احشاهـــــا

بتعطيـــه مـــن كـــل شئ يريـــده
اللـــــه يخلـــى لكـــل والـــدة طناهـــــا

تقـــول ياوليديــــه رزقـــك يزيـــده
وان شافتـــه مبســـوط هـــــذا هواهـــا

وانت بخير تنـــام نومـــة سعيـــدة
وان قلت ياراسيـــه تخلـــى عشاهـــــا

أدعيلـــه والقلب صافـــى العقيـــدة
ياجنـــــة الفـــردوس يجعـــل مــــواها

والله كبيـــر وماخلـــق لـــه يزيـــده
رفـــع السمـــا ونجومها فى سماها

وان راد لك بالخير الرزق فى ايده
ولايقصـــر عـــــن دروب نواهــــــا

خلك مـــع اللى مابينسى الوحيـــدة
ولاينشغـــل عـــن حاجتـــك ماكماهــا

واللى بيقرى الورد كلـــه وعيـــده
والواقعـــة فـــى كـــل ظلمتـــه قراها

واللـــى يـــزور البيت ويزور سيده
ودوق زمـــزم وبيمكـــس أمـــاهــــا

وبقـــدرة اللـــه عنـــه بعيـــدة
ولايشـــــوقهى ولايحـــــس بهواهـــا

وشاعرنا كما اسلفنا – شاعر متدين وشييخ قبيلة عارف بأموردينة يؤدى الصلاة فىميقاتها ، لذا نراه يناجى ربه بأن يقويه على العبادة وأن يفقهه فى الدين ، ولأنه زهد فى الدنيا فإنه قد اتجه إلى الآخرة يرجو خيرها فتراه عابداً زاهداً متمسكاً وساجداً يرجو غفران الله ويدعو الناس إلى التقرب إليه الله بالطاعات والبعد عن المعاصى يقول:

يارب يارحمن يا أبو الكرايـــم	يارب يلى سايق الغين والريـــــــح
انك بترحم مافينـــــا الحذامـــــى	فى صلاة الصبح بيقوم ويطيـــــــــح
انك تقوّى همتى على القيامـــــى	اللى بيصلى الفرض والتراويـــــــح
الدين وده عقل ذاكى وشهامـــــة	ولابيلم الناس غيـــــر هب الريـــــح
اتمعنك فى الدنيا ماهى نجامة	ولابيعز الديــــــن غيــــر البحابيــــــح
الدنيا منهـــا ماتســــاوى سنامــة	ومُرّة وأمَرّ مـــــن عشبـــــة الشيـــــح
واللــى بيدركهــــا بيقلق منامـــــه	ويون منها كيف ونىّ المجاريـــــح
أما المعوم مثل راعى الجهامـــة	يوم ماالبلاد مربعه عشب وسليـــح عقب
العتومـــة بينقرط فــــى منامـــــــه	ومن الفضــــــا بيقطعـ الليل تضابيح
واللــــى اكرمـــه الله عزّ الكرامـــة	اللى كلامه غيـــر ذكـــــر وتسبيـــــــح
وصلوا على اللى فوق نجده علامة	ومسلمـــة مــــولاه كـــــل المفاتيــــــح
مقبول عند اللـــــه وعالى مقامــــه	واللى داخل الجنة يعطيه تصاريح
قطع حياته صلّح النــــاس تصليـــــح	شفيعنـــا يــــوم تقـــــــوم القيامـــــة

صلى عليه الله نور المصابيح

وفى البادية الكرم كله ، وهنا شاعرنا يبدأ قصيدته " البادية " مثل شعراء بادية سيناء بذكر الله والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر صحابته كما يصف البادية بأنها مجموعة من القبائل تجمعها روابط ثقافية وروابط عرق ودم ونسب وقرابة وقيم متأصلة ، فتراه يصف القبائل فى سيناء بأنها متآلفة متحابة ولكل قبيلة "ديوان" أى مكان للجلوس والاجتماع للتشاور فى أى أمر مهما كان صغيراً أو كبيراً كما يحضر شيخ القبيلة ومشايخ المنطقة فى الديوان للنظر فى أحوال القبيلة ، وهو هنا يصف القبائل فى سيناء بالكرم ولكل قبيلة طريقة فى اكرام ضيفها والترحيب به وقد ذكر لنا شاعرنا هنا عدة قبائل منها : قبيلة البياضية والمساعيد والعيايدة والحويطات واللحيوات والسعودى والترابين والسواركة يقول فى قصيدته البادية :

أول مابذكر الله خيـــــر مــــــن كـــــــوم الذهــب
اللى صور الدنيا وكل تصويـــــــره عجـــــــــب

ثانى قولى فى الرسول الصادق ماعمره كذب
أترل عليه العلم وصدق فى العلم انجـــذب

اللى وَصَّى الصحابة علـــى الأمانــــة والأدب
علمكوا بسلو البداوة من مصر لديرة حلب

اللى بيسوا دواوين وفيهـــــــــن حاضــــــر الطلب
من جاهم الضيف الكبيــــر تَغَدّى وشـــــــرب

أما رجل البياضى ضيفه مايشكــــــــــى التعـــــــب
أما رجل المسعودى أهل الكرامة والحسب

اما رجل العيـــــــادى هــــــــذا اكرَّاب الحقـــــــــب
اما رجل الحويطى بالوثب يلحــق الطلــــــب

اما رجل اللحيوى ماعمــــــــــــر جــــــــاره تعــــب
أما رجل السعودى هذا من خيـــار العـــــرب

اما رجل التيهـــــــى هـــــــــذا بعـــــــــز الطنـــــــــب
اما رجل التربانى الهامــــــل فيهــــــا قحــــب

اما رجل السويركــــــــــــى مابيسبب الغضـــــــــب
واللى يتعدى عليه يزين دقنــــه والشنــــــب

ويسير بنا الشاعر / صبيح أبوربيعى عبر رحلته الدينية ، فنراه يدعو إلى نشر تعاليم الدين الحنيف ، وعدم ارتكاب المعاصى التى من شأنها أن تأخذ بصاحبها إلى النار ، ويذكرنا بوجود الخالق الذى سيحاسبنا فى الآخرة على كل مااقترفته أيدينا ، وما ارتكبته جوارحنا مـــــن أعمـــال

لذا نراه يصدح فى قصيدته منشداً :

الحق للى آمنـوا سيـــف وحجـــاب
وبقدره الله يطـــرد الشـــر عنك
والعلم فى القرآن مرسول فى كتـــاب
واللى يـزل ينقل العلـــم منـــــه
والدين مـا ينظمـــه كـل كتـــــاب
والبطل عند اللــــه ما لـــه محَنَّة
وصلى عليه الله واقف على البـــــاب
ذكـــــره وذكــــر اللــه مفتاح جَنَّة
واللى تَمسَّك فيه لا تخـــاف ينصـــاب
ولا تخـاف ماقييـــه يوصلنـــــه
ولا عليه أبــواب عســرات رحــاب
وبقدرة الله تشرد النـــار عنـــــه
واللى يعاود للخطأ عقـــب ما تـــاب
يلقى العمل مستنظره فى المجلة
والدين ما هو لعب على الخيل وركـــاب
الدين فرض وتابع الفرض سنـــة
ولا يضيمـك كـــل لعيبــة الطـــاب
والمتقى فى القبر ما بتدرى عنه
والله كــلام اللـــه مـــا فيـــه تكذيب
واللى أرسله مولاه علــــى نبيـــــه
وكتابــة القــرآن كلهـــا بترتيـــب
اللى نزل بالعلـــم على الجاهليـــة
اللى يصــدق فيه كسبـــان ومصـيب
واللى يكذب فيـــه مالـــه خطيـــة
بكــــره يتقلب فـــى النــــار تقلـــيب
ولا زم يشوف المر فى الآخريـــة
ويلطــــف بحــــال اللى يموتوا مطاليب
واسبد فيـــه حكـــام ومعاقبيـــــه

ونرى شاعرنا فى محرابه متعبداً داعياً الى الله بأن يغفر ذنوبه ويطهره من كل الآثام ، فهاهو يتبتل الى الله بالدعاء راجياً عفوه ومغفرته ، فنراه زاهداً فى الحياة ، ينظر الى الموت الواقف على الباب بالمرصاد ، يرجو الشفاعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

يارب يلى مالنا غيرك يلبى طلبنـــــا ... انــت الكبيـــــر وحافظ كـــــل الأبـــــــواب
تغفــر لنـــا سيئاتنـــا لـــن كذبنـــا ... ما عن مـــن الذلات لوكـــــان شيـــــاب
يا من جنينا قول يـــا مــــا اغتيبنــــا ... وانت غفــــور لكل ندمان لــــن تــــــاب
لولا حـــــواس نفوسنــــا لنجذبنــــا ... والبر ما يلقــــــاه مفســـد وكــــــــذاب
والله مـــا أمــــرنا نكــــره بعضنـــا ... وفى الدين ما حسيت فرق وأحــــــــزاب
ياريت ما احنا على الصحيح انقلبنا ... وكل من تَعَدّى الحسن فى الدين كذاب
نسمـــع تلــــى القرآن ولا صعبنـــا ... ولا تعدنـــــا عندنــــا درس وخطــــــاب
يارب يا رحمـــن تحمـــل تعبنـــا ... يارب يلى مـــن ترجاك ما خــــــــــاب
على حـــواس نفوسنـــا لا تعاقبنـــا ... وفى أقوالنا فى الناس صادق وكذاب
هذا بيعجبنـــا وهـــــذا مـــا بيعجبنـــا ... وصَيّورنا ينّدَس فى حجـــــار وتـــراب
والموت ماهو إنســـان وده صاحبنـــا ... ولا يرد الموت مــــــالٍ ولا أصحـــــاب
جبنـــا مـــن الدنيـــا ومـــــا جبنـــا ... والموت بالمرصاد واقف على الباب
وصلوا على اللى أحنا بصلاته كسبنا ... كل من تَقَبّل قبلته عن الخطأ تــــــاب
صلوا على اللى احنا بصلاته طربنـــا ... هو الشقيع وهو الوالى على البــــاب

ويسير بنا شاعرنا فى رحلته الإيمانية فيذكرنا بخلق الإنسان وخلق آدم عليه السلام من طين كأنه يتمثل قوله تعالى " ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاماً ، فكسونا العظام لحما ، ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين " **صدق الله العظيم**

ويذكرنا شاعرنا أن الله تعالى كرم الإنسان بالعقل وذلك امتثالاً لقوله تعالى " ولقد كرمنا بنى آدم " ، كما يذكرنا أن الإنسان عرف التوحيد منذ أقدم العصور وآمن بوجود خالق واحد لهذا الكون قبل نزول الكتب السماوية والقرآن الكريم ، فالإنسان تواق إلى العبادة بفطرية ، كما يذكر شاعرنا بأن الله اصطفى بعض الناس على بعض فجعل الحاكم والمحكوم وذلك امتثالاً الى قوله تعالى : " ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات " **صدق الله العظيم .**

كما يذكر أن السعيد هو من يمتثل لأوامر الله عز وجل فهذا يفوز بجنة الفردوس التى أعدها الله لعباده المؤمنين المخلصين ، أماالذى اغتر بالمال والنفس والأولاد ولم يمتثل لأوامر الله عز وجل فمصير هذا الإنسان إلى النار يقول شاعرنا :

يـــــارب يلى مـــال وصفـــــك نديـــده	**يلى رفعت العرش من دون عمدان**
يلى خلقت آدم وهـــــو كـــان طينـــــه	**نفخت فى صوره وهو ماشى كـــــان**
يامكرمــــــه بالعقــــل وحفظ دينــــه	**وآمن بحكم اللــــه مــن دون قــرآن**
خلقت روحه على الدنيا وحدة وحيدة	**وبقدرتك خليته يـــــدب الأركــــــان**
يلى اصطفيت اللى انت منه تريـــده	**قلبه رؤوف وداخله كــل رحمــــــن**
يامكرمه بالحكم والحكم فـــى ايـــده	**يحكم بحكم الله وحكمه بالإحسان**
اللى بيرجى اللـــه العفــو لعبيـــده	**قلبه رؤف وداخله كــل رحمـــــن**
والمسعد اللى يشوف نور المدينة	**يبشر بغسل الذنب لوكان عرقـــان**
ياجنـــة الفــــــردوس لمأيدينـــــه	**تلقى مساكنهـــم أشكـــال وألـــوان**
واكتر بــواب النـــار لمعادينـــــه	**ما عادى دينه غير كفر وعــدوان**
صلوا عليه وكتروا من صلاته	**اللى صلاته هى شفا كل وجعان**

وشاعرنا / صبيح أبورويعى لم ينقطع فى صومعته إلى العبادة فحسب بل وجدناه يشارك المسلمين فى أفراحهم وأتراحهم ، فنراه يندب ما آلت إليه دولة مسلمة مثل فلسطين ، وما آل إليه القدس الشريف من قهر نتيجة للإستعمار الإسرائيلى وحصاره للقدس ، فنراه يهيب بحكامنا العرب ليدافعوا عنه ، فيصف رئيسنا حسنى مبارك بصواب الرأى وجنوحه إلى السلام ، كما يصف ملك السعودية الملك عبدالعزيز بن سعود بالشجاعة ، كما يذكر " الملك حسين " ملك الأردن رحمه الله ودوره فى المناداه بتحرير القدس ورفع الظلم عن أهله وعودته إلى أحضان السلطة الفلسطينية ، كما يتمنى شاعرنا أن تزول الحرب بين العراق وإيران والتى دامت أعوام طويلة ، وقد انتهت والحمدلله يقول شاعرنا :

طالت عليها القدس حسه بينـــــادى بقول أنا وين مـــــن الظلم منهـــــان
ياريت لنهى تقوم كـــل البـــوادى واللى آمنـــوا من كل بدو وفلحـــان
ياريت لنهم يخلصوا فـى الجهـــادى ما كان ظلـــوا عندنا كان عــــدوان
" حسنى مبارك " صايب الرأى قادى وده يخلى الناس فـــــى ود وأخـوان
وسعود عنـده جيش مثـل الجـراد يحكم بحكم الله وينعـــد سلطــــــان
يجيك مثل السيـــل مع كـل وادى من الكويت وديرة الشرق ومعــــــان
و" حسين " حامــى ديرته بالولادى عنده ولاد مدالكه الحـــرب ومكـــــان
" حسين " دون القدس رجـل مفادى وأنا عارفه من جرة القدس وجعــــان
ياريت لَنّهَا تقوم كـل السعـــادى والله يحل الحرب بين العراق وإيران

ويدعو شاعرنا إلى توبة من أخطأ ، فمن ارتكب فعلاً وجرّمة القانون وأخذ جزاءه فعليه بالتوبة، خاصة إذا كان هذا قد كبر فى العمر واقترب من لقاء ربه ، فالله يقبل توبة عباده يقول تعالى : " إن الله يقبل التوبة عن عباده " كما أن الله يغفر ذنوب العبد ولو كانت مثل زبد البحر إذا أخلص هذا العبد التوبة لله يقول شاعرنا :

ومن تاب كنـّه تـوّه قـــاد الحبيب بالخص للى توبتـــه مـــن قضيـة
بالخص للى لحيتـــه خاتمـــة شيب ولا يعقـــب عاطلـــة عنـــد أخيّه
واللى آمنوا لا يأمروا بكلمة العيب واللـــه يحـب الرجـــال التقيـــة
واللـى مـــا بغيب النـــاس بتغيب ملو السما والأرض ما هو شوية
صلوا على اللى ذكرته طيب فى طيب صلى عليه الله سيد النبية

وها هو شاعرنا / صبيح أبو رويعى يستخدم الرسائل الشعرية فيرسل رسالة إلى أمير شعراء البدو الشاعر / عنيز أبو سالم الذى أسلفنا الحديث عنه مادحاً إياه بأنه شاعر عظيم ورجل فى المواقف الصعبة يقول فى قصيدته " أمير شعراء البدو " :

يامرحب يا عنيز يا صاحب الجلالة — يـــا عنيز أنت خيـــــار المحبين
يا عنيز علمتنـــا بفعلك الرجالـــة — اللى يخص الناس دنيـــــا وديـــــــن
فعل الرجالة اللـــى تعــز للمعــزة — ولا هم من اللى يكسرون الموازين
متعلميـــن وتاركيـــن الجهالـــة — وماهم من اللى متعديين القوانيـــــن

وشاعرنا كذلك ليس شاعراً متزمتاً ، بل هو شاعر فكاهة ونكتة ومن هنا تتجلى روحه الرقيقة وظله الخفيف ، يقول مداعباً ، فى وصف رجل كبير السن سقطت أسنانه :

ايش قولك فى شايب كبير — كبير وطايحات ضروســـــــــه
سَوَّى ضَبَّة جديـــــــدة عقب — اللـــى رمتهـــــــا السوســـــــــة
عنده له ناقة حمـــــــــــرا — بتحلب حلـــب الجاموســـــــــة
بيصَّيد عند أبو مـــــــــزروع — بيرمى الصيـــــــد بدبوســــــه
وما بيــــدوق الفطيســــــــة — غير اللى بيدبحها بموســـــه
عنده مــــــرِّوَة مكينـــــة — الملك الواســــــع بيجوســـــــه
ولا بيريـــــــد الفقيـــــــر — بيريد اللى كتـــــار فلوســـــــــه
وبيريد الحرمــــة القويـــة — اللى فى الخيمـــة فاعوســـــــه
ايديها مثل المـــــــزارى — يـــــــوم الغموســــــــه تموصـــــه
على العيش تزومه لولدها — لقمتهـــــــــا كبـــــــر الغطوســـــــــه
ولا بيريد اللى أزود منـــه — غير اللى على طوله بيقوسه
ولا بيريـــــد المــــــلفلف — ولا اللـــــى مغيـــــر ملبوســــــــه
ولا بيريـــــد الشيطـــــان — ولا أبـــــــو عمـــــــه منكوســــــه
واللــــــه يجيـب المطـر — تصبـــــــــح ديرتنـــــا مطبوشـــــة
حتى الشويــــان تربـــع — فى العقدة شرق العرنوســــــة
يوم العجوزة تحلب العنزة — يصيـــــرن عليهـــــا كوشـــــــــه

ويوم تزحــــــف للصعـــــن كـبــر الغربـــــــال الشوشـــــه
الصبح من شان الرايب بتسوى مع الشايب طوشه
ويقولهـــــــا انت اخوتينـــا الله يخوتكى مــــن حوشـــه
كـــــان تقفـــــه خمساوى وليــــــه طايح طربوشـــــــــــه
قـــــــام ضربهـــــا بالباكور جــــت هويتهـــا فى الغوشه
قال غير الدور لى وحده حرير القنعـــــــــه منقوشــــــة
خافت لتلقـــــــــــى عليـــــــه خافت مــــــــا حــــــد يحوشـــه
ماتت عليه من الحســـرة يتدجـــج مثـــــل الملطوشـــــة
خلاَّهـــــا لمَّن تقوطـــــــــــــر اعقبهـــــــــى علــــــى البوشـــــة

وشاعرنا يصف الصحراء الجرداء واشتياقها للماء ، فنراه يبشر البدوى بعد هبوط رياح الغرب بأن المطر سيأتى غزيراً ، وسيروى الأرض العطشى والجبال والسهول ، وستخضر الصحراء بعد طول جدب وتشرب الخراف وتأكل من المراعى الخضراء ويعم السيل الصحراء الجرداء يقول :

من يوم هب الريح من ديرة الغرب
أبشر بهـــــى يــــــا خايف مــــــــن المحــــول
وترى الثريا مطرها تحلبه حلـــــــــب
باكـــــر يجيك المزن مــــــع نـــــــومة الكلب
اللى بيروى جبالها مـــــع سهلهـــــــــــــا
ويريح اللى قلبها ميـــت مــــــــن الغلــــــب
حتى الضمير يصير فاضل عدلهـــــــا
عقب السبوع الجدى ينقز مــــــن الــدرب
وتصبح الخرفان مثـــــــل العجــــــــــول
الله يجيبه على الدفيدف وعلى الدرب
فى الصبح تصبح مبحرات السيولة

وشاعرنا يشارك أفراح سيناء فيصف رئيسنا / حسنى مبارك بصفات العظمية فهو يضاهى السد الكبير ، فتراه لا يتوانى فى العمل على تعمير سيناء ووصول مياه النيل إليها وتنميتها تنمية شاملة فى جميع المجالات يقول مادحاً :

ريسنا يا حسنى مبارك	بيشـــــــادى للســـــد المانـــع
وده يعمر سينا بالميــه	وكتــــــــــــز الشـــــــــوارع
أول عمـــــــار الساحـــــل	ومنـــه عمـــار الفـــــوارع
بيبعـــــــت كيس الدقيــق	حتى يشبع منها الجايـــــع
عنـــــــده قـــــــوة كثيـــرة	منشورة فى الجو الواسع
وان جاته الأجنبيـــة	عـــــــــــــن بلاده بيدافـــــــع
بيزود ايجار العمال	واللـــــــــى سوى الجوامـــع
وبِيْرَتِّبْ غير الفَهّيم	اللى مـــــا يخون الودايـــــــع
يمشى مشى الأولين	بيمشى على مشى الشوافع

وشاعرنا رجل سياسى محنك ، يعرف أحداث التاريخ ويشارك فى التأريخ لأحداثه فيصف رئيسنا المصرى الراحل " محمد أنور السادات " بأنه شهم وشجاع ، فهو الذى حاور اسرائيل ووقع إتفاقية " كامب ديفيد " والتى بمقتضاها عادت سيناء إلى أحضان الأم مصر ، فنراه يأخذ موقع الراوى والمؤرخ فيذكرنا بأحداث " أبورديس " وأم خشيب " والطاسة " ، كما يحدثنا عن حوار الرئيس مع اليهود وخطابه فى الكنيست الإسرائيلى وتوقيع معاهدة السلام ، والتى سيتتبعها معاهدات أخرى من أجل تحرير " القدس الشريف " من براثن اليهود المغتصبين يقول :

محمـــــد أنـــــور الســـــادات	يسلم بيميــــنه ورأســــــــــه
أول مـــا اطلعها من أبـــــورديس	ومن أم خشيب والطاســه
العالم بيقولــوا عنــــه خــــاين	وهــــــو مـــــا عنده عشاشة
تَمّ يحــاور فـــى اسرائيــــــل	لمـــا اطلعهـــــــم بسياســـــة
يومن خطب علـــــــى الكنيـــست	على طوله ما وطى راسه
صِعْبِنْ عليـــــــه الأرامــــــل	راجـــل عنـــــده حساســــــــة
يقـــول الكـــــل ياخد حقـــــه	لـــو كـــــان مسمار نخاســه
خلى اللى على المنبر يتريـــــح	يتريــــــــــح بعـــــــد جباســـــه

حــــــــرر القــدس لأصحابهـــــا حطوا علمهم على راســـــه

ريسنا " محمد أنور السادات " مـــــــــا ودنا غيـــــــــــره دياســـة

ونسير مع شاعرنا فنراه يصف محافظة شمال سيناء ويقصد اللواء " منير شاش " الذى كان يزور البدو فى أماكنهم ، فيسأل عنهم وعن أخبارهم ومشاكلهم فأبى الشاعر إلا أن يمدحه فى قصيدة يقول شاعرنا :

الله أرزقنا بمحافظ سيناء ما له نديدة

ما شاء الله الراحل الطيب كل العالم بتريده

اللى جابه علينا غير الليالى السعيــــده

ما بيتخرف فى الباطل خرافة غيــر الوحيـــــــدة

الصبح بعد ما يصلـــــى الورد ويعيـــــــده

الله معطيه الكرم يعطيك من اللــــــــى فى ايــــده

قالوا بيخدم الفقير كأنه يخــــدم وليــــــده

اللى بيصوم وبيصلى هــذا حبيبه وديده

اللى بيقدم بالطيب غير الله بالخير يزيــده

اللى بيخدم العالم يستاهل دنيه جديـــــــده

هذا قــول الحــــاج صبيح أبورويعـــــــى

مـــــــن صافيــــــــــن العقيـــــده

ونختتم حديث شاعرنا بقصيدة يذكر فيها الدنيا والآخرة ، فيذكر أن الدنيا فانية وأنها دار ممر، وأن الآخر هى الباقية دار المقر فلا بد للإنسان من فعل الخيرات حتى يلقى الله بثوب طاهر وحتى ينال رضوان جناته يقول شاعرنا :

يا ذكر الله صور عــن كــل ملعـــون	هيه حيـــــــاة الدنيـــا والآخريـــة
واكرم بنيـــــه بشكــره شكــر ممنون	واللى يحــب يكرمـــه بهـــــداية
وراعى الحقيقة عن هوى النفس مسجون	وأقل حاجة توقعه فـــــى الخطيـــة
كل من تقدم الحق فى الديــن مفــتــون	لايستقى من علم ولا مــــــن وصيـــة
ومن افترى على الناس بيكون مجنـــون	ومـــن يتبعه بيكون مجنــون زيـــه
كل الخلايق بتستمع لهـــا اذآن وعيـــون	والرادية بتجيب مـــن كـــــــل فَيَّة
والعمر لـــه محاديــد والرزق مضمــون	لكان وده غـــاد روحــــــة وحيـــة
والله خلق النـــاس طاعــن وطاعـــون	والروح ودهى ظل على الدنى حية
والكل شغلـــــه غــــاد يلقاه مــأذون	ومفقيـــــدات الطيبـــــة والرديـــة
وندخل على اللى قادر وحاكــم الكــون	وعن الخطايا وعن النفوس الشقــية
صلوا على االلى يكون للناس فى العــون	على اللى صلى الفرض عنده بميـــة
ومن زار بيت الله يغســــل بصابـــون	واللى شهد بالزور ينــدم شــويـــة

كانت هذه رحلة قصيرة مع شاعر قبيلة السواركة الشيخ / صبيح أبو رويعى رأينا فيها شاعرناً زاهداً عابداً متنسكاً ومع ذلك لم يقصر نفسه ويحبسها فى برج عاجى بل نراه يشارك فى قضايا مجتمعه ويروى لنا أحداث التاريخ التى وقعت فى سيناء منذ حرب ١٩٦٧م وحتى انتصارات أكتوبر عام ١٩٧٣م ، بل ويحاوز ذلك ليحدثنا عن مرحلة البناء والتعمير وتنمية سيناء ، وقد يجاوز كل ذلك ليحدثنا عن القدس وأحلامه فى عودة القدس الشريف الى أحضان فلسطين العربية .

ومن هنا يمكن أن نقرر بأن الشاعر البدوى شاعر مفطور على رصد الأحداث والمشاركة فى استعادة الأرض ورفض المحتل حتى لو عن طريق الكلمة الشعرية أو الرفض المعلن ، ولم لا وبدو سيناء هم الذين رفضوا فصل سيناء عن مصر نتيجة للمخطط الذى وضعه الموساد الاسرائيلى فى مؤتمر الحسنة ، يوم أن جاءوا بوكالات الأنباء العالمية ومراسلين الصحف وأغروا البدو بالمال ليعلنوا أمام العالم أجمع انفصالهم عن مصر كيما تصبح سيناء دولة مستقلة وقتها اجتمع مشايخ سيناء ووكلوا شيخاً تحدث على لسانهم فقال : أننا نعتز بمصرنا الحبيبة وبقائدناالرئيس جمال عبد الناصر وأننا نتمسك بالسيادة المصرية على سيناء ولقد فشل " مؤتمر الحسنة " فى تدويل سيناء بسبب مواقف هؤلاء البدو الشجعان ومدى انتمائهم لمصر الغالية .

إن الشعر البدوى هو حلقة مفقودة من التراث القومى الذى يجب أن تلتفت اليه الدولة وتجمعه لأنه يمثل جزءاً من تاريخ مصر الحديثة فى سيناء بوابة مصر الشرقية وعينها على الحدود .

هكذا يجب أن تكون النظرة لهذا التراث البدوى الخالد على مر العصور والأجيال فسيناء وبدوها وحضرها قدموا النموذج المشرف لما تكون عليه المواطنة الحقة للمصرى المناضل من أجل أرضه ووطنه ، ومن أجل أن تحيا مصر فى أمن وأمان .

سكنت سيناء على إتساعها " شمالاً ووسطاً وجنوباً " قبائل متفرقة ، وانتشر البدو حول العيون والآبار ، يشربون ويسقون إبلهم وأغنامهم وخرافهم وحول الكلأ والمرعى انتشرت القبائل .

وتشكل القبائل فى سيناء السواد الأعظم بالنسبة إلى جموع السكان فتصل إلى أكثر من ٧٠% ، وتنتشر هذه القبائل لتغطى شبه الجزيرة طولاً وعرضاً (١) هذا ويمكن التفرقة بين سكان سيناء من البدو وبين قسم أخر يمكن أن نطلق عليه " أنصاف البدو " أولئك الذين يقطنون بصفة خاصة فى وادى فيران (٢) .

وقد كان للفتح العربى والهجرات الفضل فى إستقرار بعض القبائل فى بادية سيناء ومن هذه القبائل التى وفدت من الحجاز : الوحيدات والرشيدات والرثيمات والجبارات ، والعايد. وقد سكنها فى القديم عدة قبائل : الحماضة والتّبنة والمواطرة والبدارة .

كما سكن بلاد الطور عدة قبائل أشهرها : العُليقات ومُزَينة والعوارمة وأولاد سعيد والقرارشة والجبالية بفروعها : السلايمة والحمايدة والوهيبات وأولاد جندى .

كما سكنت بعض القبائل فى بلاد التيه وأشهرها الحويطات والترابين وفروعهم : الحردة ، الحسابلة ، والشبيتات والتياها (الوحيدات) واللحيوات وفروعها : الكرادمة والحمدات والمطور والنجمات والخناظلة والكساسية . والسلاميين والغريقانيين ويقال أن أصلهم من قبيلة المساعيد .

كما سكنت بلاد العريش عدة قبائل أشهرها (٣) : السواركة وفروعها : العرادات ، الدهيات ، الجريرات ، المحافيظ ، الفلافلة ، الخناصرة ثم سكنها أيضاً قبيلة الرميلات بفروعها : البسوم والشرطين والعوايدة والستة والعجالين .

ثم نجد قبيلة المساعيد والتى انقسمت إلى ثلاث فرق : فرقة ذهبت شرقاً فسكنت فارعة المسعودى وراء حوران ، وفرقة ذهبت غرباً فسكنت أرض مصر وعرفت باسم أولاد سليمان وبقى منها بقية فى برقطية غرب العريش حافظت على إسم المساعيد ، ثم فرقة ذهبت جنوباً وشرقاً فسكنت وادى الليف فى البَدْع من أعمال الحجاز على نحو خمسين ميلاً من العقبة

---

(١) سالم اليمانى ، سيناء الأرض والحرب والبشر ، الهيئة العامة للكتاب صـــ ٣٠ / ٣٦ .
(٢) إبراهيم أمين غالى ، سيناء المصرية عبر التاريخ ، الهيئة العامة للكتاب صـــ ٢٦ / ٤٦ .
(٣) نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مطبعة دير سانت كاترين ، صـــ ٦٢١ .

وسكنت العريش كذلك عدة قبائل منها : العيايدة ، الأخارسة ، العقايلة ، بلى البررة ، أولاد على ، القطاوية ، البيّاضيين ، السماعنة ، الدواغرة ، العديين كذلك سكنها بعض القبائل المستضعفة التى تعيش فى القبائل القوية ومنها : الهُتيم بفروعها : الشرارات ، مطيرة ، ومنهم : الدواغر وكذلك العُرينات ، والصُلَيْب والملالحة النَّور . وكل هؤلاء عاشوا مع البدو بالخاوة أى بالحماية والتبعية للقبائل الكبيرة [1] أما سكان مدينة العريش فينقسمون إلى العرايشية والفواخرية فمن قبائلهم أولاد سليمان (المماليك) والكشاف ، والشرابجة ، والشرفا ، والحجاجوة ، ومن قبائل الفواخرية الغولة ، والقلعجية ، والسلايمة ، والفيران ، والعطاوين ، والعبادين ، وأولاد أحمد والصبايحة ، والسحايقة ولعل أهم مايميز حياة البادية أنها حياة حروب فهم دائماً قاتلون مقتولون لايفرغون من دم إلا إلى دم ، ولذلك كان أكبر قانون عندهم يخضع له كبيرهم وصغيرهم هو قانون الأخذ بالثأر فهو شريعتهم المقدسة ، وهى شريعة تصطبغ عندهم بما يشبه الصبغة الدينية ، ولم يكن لأى فرد من أفراد القبيلة حق ولا مايشبه الحق فى نقض هذه الشريعة ولا فى الوقوف ضدها أو الخروج عليها ، فما هى إلا أن يُقْتَل أحد منهم ، فإذا سيوف عشيرته مسلولة وتتبعها العشائر الأخرى فى قبيلة ، تؤازرها فى الأخذ بثأرها ، ويتعدد القتل والثأر بينها وبين القبيلة المعادية ، وتتوارثان الثارات حتى يتدخل من يصلح بينهما ويتحمل الديات والمغارم ، ولم يكونوا يقبلونها إلا بعد تفاقم الأمر وإلا بعد أن تأتى الحرب على الحرث والنسل ، أما قيل ذلك فكانوا يعدونها سبه وعاراً .

وأكثر الحروب كانت تقوم لوجود نزاع على حد من الحدود ، أو نزاع ينشب بين بعض الأفراد فى قبيلتين مختلفتين ، أو نزاع بسبب الكلأ أو المرعى وما إلى ذلك فيستغيث المتضرر فنرى الجموع تهب معه بخيلهم ورماحهم وتدور رحى الحرب فيقتلون من أعدائهم ويشفون حقدهم ويقتل منهم أعداؤهم ويشفون غليلهم ، فهم طعام السيوف ، يطعمونها أعداءهم ، ويطعمهم أعداؤهم لها فى غير نكران ، فهم دائماً واترون موتورون ، وحياتهم مقسومة على هذين الحدين وإلى هذين الشطرين [2] ويذكر لنا نعوم شقير : أن حروب البدو فى سيناء كثيرة : فى بلاد الطور ، وبلاد التيه ، وبلاد العريش وكنا لانحب الخوض فى هذا الجانب حتى

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مطبعة دير سانت كاترين ، مرجع سابق صـ ١٢١/١٦٧ .
(٢) شوقى ضيف ، العصر الجاهلى ، دار المعارف ، صـ ٦٢ وأنظر ديوان الحماسة للبحترى ، طبعة بيروت ، صـ ٢٨/٣١ ، والمرزوقى على الحماسة ١/٢١٥ - ٢١٦ .

لايذكر البدو بحروبٍ تجلب الأحقاد وتثير العصبيات وتعيد الحرب بعد الأمن والسلام ، ولكن طبيعة البحث اقتضت ذكر بعض هذه الحروب .

ومن الحروب التى وقعت فى بلاد الطور : حرب الطورة ، العليقات ، والكعابنة ومنها واقعة الفهدى حيث هاجم عرب الكعابنة بلاد الطور وخطفوا إبلاً للعليقات وبنتاً من بناتهم وانقلبوا راجعين إلى بلادهم ، ففزع العليقات وراءهم وادركوهم فى وادى الفهدى شرقى جبل إخرم وانتصروا عليهم واستردوا إبلهم وبنتهم وفى ذلك قال شاعرهم :

لحــــــق طُليبك ياسُليمى   عليقـــات فـــوق اللقــــــاح

هم بركوا ونحن قرعنا   لما الدم كغارف بالقداح

أى أن القبيلة لحقت بالمعتدين وردت " سلمى " وهنا استخدم التصغير فى اسم سلمى " بسليمى " للتدليل والملاحة وهو يقول بأنهم عندما وصلوا إلى الوادى – وادى الفهيدى – وبّركوا ابلهم هاجمناهم وأعملنا فيهم سيوفنا وانتشرت الدماء بركاً حتى يمكن أن تملأ الأقداح من هذه الدماء وكذلك وقعت الحروب بين القرادشة والتياها ، وحروبهم واغاراتهم على فلول الجيوش المصرية (واقعة برق) وكذلك ذاع صيت حرب الطورة العوازمة والمعازة (واقعة الهيج) وحرب الحويطات وبلى وفى الحرب الأخيرة نرى نشوب الحرب بين الحويطات وقبائل بلى فاستنجد الحويطات بالطورة أحلافهم فلم ينجدوهم فنظم الحويطى قصيدة فى وصف الطورة بأنهم مثل " الحصينى " الذى يختبأ فى خميلة أى وصفهم بالجبن يقول مطلع القصيدة :

أحسبك يا طورى تعز القبيلة   تراك حصينى لابد فى خميلة

فرد عليهم الطورى بقصيدة طويلة يقول لهم فيها اننا قوم سددنا باب الحرب لأننا كنا نود أن ننجدكم ولكننا لانستطيع السير ضد أوامر الحكومة يقول :

اللى فتح باب الحرب يسده   وإلا يعطى الحكم راعيه (١)

وكذلك قامت الحروب فى بلاد التيه فى " مكون الراحة " بين الحيوات والتياها وسبب الحرب أن تيهياً يدعى " لقوق " اغتصب بنت سليم بن قردود من اللحيوات الخناظلة ، فهبت اللحيوات على التياها وقتلوا شيخه محمد بن عامر رمياً بالرصاص ، فجمع التياها جمعوهم وقصدوا بيوت الليحوات حتى أتوا بئر الثمد فوجدوا اللحيوات قد جلوا عنها الى " وادى فيران " ومن هذا الوادى أرسلوا ركباً الى جبل شويشة العجمة فساقوا ٣٠٠ جملاً للتياها غنيمة فجاء ابن نصير شيخ مشايخ الطورة الى اللحيوات فحذرهم باعادة الابل للتياها لأنهم غزوا على التياها .

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق صـــ ٥٧٠/٥٧٣ .

ويحتمون به وهذا عيب ، فتم ارجاع الإبل ، ثم تركوه وقصدوا فرج أبو طقيقة شيخ الحويطات فى مصر للإستنصار به ، ولما وصلوا السويس أرسلوا الظن لأبى طقيقة وغزوا التياها فى وادى ارواق وساقوا نحو ٢٠٠ جملاً لأبن ناصر بن كلية ورجعوا الى السويس ثانية ففزع التياها وراءهم لإدراكهم فأدركوهم فى " رأس وادى اراحة " على نحو مت ساعات من بئر مبعوق فنثبت بين الفريقين معركة دامت من الصبح الى العصر وكان النصر فيها للحيوات وقد سُمّى المكان الذى حصلت فيه الواقعة " بالمكون " [١] الى اليوم وأخذوا الإبل الى مصر ، فذهب ابن ناصر وابن كيله الى مصر لاستراجاع ابلهم فرد للحيوات لهما النصف بالحسنى وأبقوا النصف ثم ما لبث أن تدخل بعضهم للإصلاح وتم الصلح وعاد للحيوات إلى بلادهم وقد قال شاعرهم مخلداتاً ذكرى هذه الحروب :

فــــــــى شأن لقـــــــلوق   غدت اللحيوات بالنوق

وقيل : يتاها يا سيل طموش   ولحيوات ياسدّ حبوس

وقالوا : كان التياها لما نزح اللحيوات الى وادى فيران أرسلوا اليهم يقولون " أننا لم نلعلن الحرب الا على الخجمات والخناطلة والكساسية وأما باقى اللحيوات فليس بيننا وبينهم حرب " وقد قصدوا بذلك ق القبيلى فقازوا لمقصدهم ورجع قسم كبير من اللحيوات الى أواطانهمفى بلاد التيه خوفاً على إبلهم من الشتات واجتنابا لنشر الحرب فغنى بنات الطورة فى ذلك قالوا [٢] :

اللى قطع الترعة مضّى كلامه   والبنى شوفانى

واللـــــــى قعد يـــــا بنـــــات   والنبى كوبانـــــى

أى أن الذى ولم يرجع فهو بطل ، أما الذى رجع فهو نذل ، ومن حروبهم أيضاً : وواقعة القّريص الأولى التى قامت بين قبيلة اللحيوات والعازة ، وواقعة القريص الثانية وواقعة العقفن وواقعة أبو عجارم والتى قال فيها شاعرهم :

دارس يا قلبى دارس   حطينا على الدرب حارس

خليك فاكر يـــــــا تيهى   فكينا ابل أبـــــــو فـــــــارس

كذلك أغار اللحيوات على الشرارات .

---

(١) المكون : مكان الكون أى النزاع ويقولون تكاون فلان وفلان أى تشاجروا وتحاربوا .
(٢) نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق صـــ ٥٧٤ .

وقامت الحرب بين اللحيوات والشرارات ، وكما اسلفنا فإن الشرارات من عرب " هيتم " الذين يعيشون بالخاوة ويدفعونها لبنى عطية . أى يدفعون مبلغاً من المال ليعيشوا فى سلام وتتولى القبيلة الآخرى الدفاع ، عنها ، ولكن الشرارات رفضوا دفع الخاوة فجرد لهم اللحيوات جيشاً وأعادوا على أبل الشرارات الضباعين فأخذوا ورجعوا الى سيناء ،فعلم الشرارات بالخير فأعدوا جيشاً كبيراً بقيادة سلطام افندى كبيرهم وانتصروا على اللحيوات واستردوا إبل الضباعين وغنموا ابل القتلى وفى هذا قال شاعر الشرارات :

يا راكـــــــب حــــــر القعدان	حرّا من نســــل وضحياك
يَمّك به علــــى سطّـــــــــم	دون افنـــــدى لاثبـــــــــات
بيته فيه خطوط الصوف	وصوفه ما هن غبيــــــات
تشبـــــــــع بـــــــــه الهلاليج	فـــــى الليالى السيئـــــــات
قلافندى صبــــــــــاح الخير	واللهمن قـــــوم لفـــــــــاَت
غارت قـــــوم اللحيـــــوات	فى الحمادة الهدَفــــــــــــات
ينقلـــــــــون المـــــزانيد	والسيوف المرهفـــــــــــات
أخذوا يناق الضباعيــــــن	معها خَلُج وحواريــــــــات
وقشوا كل جمال الحــــــى	ويناق جريس المسنمات
لحقوهم طلابة الديــــــــــن	العزّام والضبّعـــــــــــــــــــــات
بَرّكوهم " سرو القـــــــاع "	وثانى بركة فى " ودعات "
وصار الملح العرم الذين	بين الصفّين المتقـــــــــابلات
أول هوشة بالبــــــــــــارود	وثانى هوشة بالطبجنجات
وثالث هوشة بالرمــــــــاح	والسيــــــوف المرهفــــــــات

وبالطبع لم يكن اللحيوات إذ نراهم يجردون جيشاً لتأديب الشرارات لكنهم لم يفلحوا فوقف شاعر اللحيوات يرثى حال قبيلة ويقول [1] :

ونمشى على القردود والرك بساره	ونشلّ على بطناتوالمل لسيـــــــــــــل
الليل مآتى واللى هجرنا نــــــهاره	وتاه الدليل عن اروا فى المشاليل
القايلة بيبرّكن فـــى الظلالــــــة	والذلشفته فى عيون ارجاجيـــــــــــل
والطيح منا صــــار بين الحيـــــالة	والريق يابس والمخاليف بتعيـــــل

(١) نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق صـــ ٥٧٧ / ٥٨٠ .

وكذلك قامت الحروب بين الحيوات والسعدين وتلاقت القبائل فى عدة وقائع أو حوادث مثل حادثة " أم حلوف " وحادث " الفحّام " كما قامت الحرب بين اللحيواتوالسواركة فى واقعة القريعة " وقعة الطّيبة " وكذلك قامت احرب بين التياها والسواركة وانتصر السواركة فيما يسمى " بيوم ألبنى " حيث قتل السواركةوارميلات تسعين رجلاً من التياها وغنموا عدداً كبيراً من الإبل وفى هذا قال شاعرهم:

يا زين بشر العلامات تسعين بيضة صَبحَّن عريات

ويقصد بالبيضة هنا الإبل ، أى أصبحت الإبل عارية من راكبيها لمقتلهم جميعاً .

وفى بلاد اعريش، كذلك قامت حروب بين الرتيمات والجيش المصرى فى " واقعة المقضية " كما قامت الحروب بين الترابين والجبارات . وكذلك بين الترابيين والعيايدة (حادثة الحوار) ، ثم قامت الحروب بين الترابين والسواركة : " يوم القرارة الثانى وقع خصام بين حرّار أبو شريف من الخناصرة السواركة وبعض أقربائه فاضطهدوه فلجأ إلى أعدئهم الترابين فجميع السواركة والرميلات جموعهم وهاجموا التاربين فى أرض القرارة فطردوهم حتى أدخلوهم خان يونس فى فلسطين وقتلوا منهم الكثيرين وألقوا بالقيض على قريبهم طرار أبو شريف فقتلوه ثم بقروا بطنه وحشوه ملاً وقالوا : " هذا جزاء من يتحون أهله وينضم الى أعدائهم وقال شاعر الرميلات فى ذلك اليوم [1] :

طـــــــاح السيفمن كفّ الوحيدى سيف الشيخ صارت له زنة

قوطرت به زعوب الخيل حمرا زقاق الخان ما يتنزل عنـــــه

ثم قامت الحرب أيضاً بين الرميلات والسواركة فى واقعة المكسر ويقيبت فيه القرارة التى هى أصل الحرب بيد اترابين أى انتصروا وعقدوا الصلح بعد لك مع السواركة وقال شاعرهم :

حـــــــــــرب بنوه ارميلات يا ويلهم من عقابـــــــــــه

بطيخهم أكلوه الحيوات ونحن نقشقش عقابه

وكذلك قامت الحروب بين الترابين والرميلات وكان حارث " الفرس " الذى انتهى بالتقاضى ورد اترابين بقر ارميلات اذى أغاروا عليه واستروا فرسهم فنطم شاعر الرميلات رج سليمان قصيدة طويلة فى ذلك جاء فى ختامها :

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق صـــ ٥٨٣ / ٥٨٥ .

جنك عشر فرسان فى رايق الليل	حامت عليك الخيـــــــــــل ذى الحويَّات
خذوا منك والعيـــن بتشــــــوف	تبكى عليها بالدموع السخيـــــــــــــات
لازمتجيب الحق وتدور دوريــــــــن	لتذوق من جزب السيوف الطريرات
لازم الحــــــق يابو مغيصيـــــب	ما يضيعحق يطلبـــــــــوه الرميــــلات

كذلك قامت الحروب بين قبائل الترابين والتياها سنة ١٨٥٦م : ١٨٧٥ فيما يعرف بواقعة بطيح ربيع سنة ١٨٥٦ ، وفى عام ١٨٧٥م نجددت الحرب بين الترابين والياها بشأن الحدود ونصر العزازمةالترابين فقازوا فنطم شاعره مفى ذلك قال :

يا ريح قل للقديرات	حماد وفّى كلامـــــــــــــه
بيرين لابن كريشان	والعمر لابن جهامة

وقال أبو عرقوب الشاعر العزامى المشهور ينوه بهذه الحرب ويمدح " حربه بنت حسين " أبو ستة " وزوجها حمّاد الصوفى .

حربة بلور تضى ذى النور	فـــــى الليالــــــــــى العتيمـــــــــــى
بتمشى هَزّ يبراهـــا العـــز	عيونها سمــــــر بلا كحـــــــــــل
أبوها سور يقـــود صقـــور	حَّمارى الجور عن الذلـــــــى
سيفه روباص بيقطـــع راس	يوم الفراس مثل النحلـــــــــى
ربعة حماد بيعطى جــــوخ	ألس عجيان فى بيت أهلى
هذا حمـــاد يدبح خرفــــان	يقرى الضيفان مع الهشلى
صقر الغالـــى عزّ التالـــــى	يركض ع النا وهـــى شعلى
يوم الله عاد جاما حمــــاد	رد الأجواد مــــن الدَّحلــــــــــى
شفت الصبيان يهزوا الزان	ينخوا نوران وأولا علـــــــــى (١)

وكذلك قامت الحروب الكثيرة بين اللحيوات والبريكات ، والترابين والعزازمة ولكن البدو – الآن – ماعدوا مثل الأمس فقد أضفت عليهم الحضارة مسحة الحاثة فنترى البدو يبنى المنازل الشاهقة ويركب السيارة السيارة بدلاً من الجمل ويستمع عبر القنوات الفضائية إلى مايدور حوله فى العالم .

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق صـــ ٥٨٧.

ويسكن البدو فى بيوت تسمى " بيوت الشعر " تصنع من جلود الماعز وبعض فروع الأشجار والنخيل وأغصانه شجر العادر وبعض الأشجار والحشائش البرية وأوبار الجمال وأصواف بالخراف ، كما يسكنون الخيام لأنهم دائماً فى تنقل مستمر حول الكلأ والمراعى ويصنعون "العرائش" لتظلمهم من حرارة القيظ ويجتمعون فى الليل حولهم يشعلون النيار ويشربون القهوة العربية الجميلة وحياة البدو حياة زراعة ومرعى فيخرج البدوى فى الصباح ليزرع أو ليرعى الإبل ، بينما الفتيات – غالباً – يخرجن لرعى الماعز والخراف ، ثم اذا حل بهم التعب يجلسون تحت الأشجار وتجلس البدوية أو البدوى لتعزف على شبابتها أو نايها وتنطلق فى غناء عذب يملأ الصحراء الجرداء عبقاً ، فتزقزق الطيور وتقافز الماعو كالغزالات فى صورة طبيعية غاية فى الروعة والحسن والجمال " (١)

معتقداتهم :

بدو سيناء متدينون بطبيعتهم ، وقد عبد أهالى سيناء قديماً القمر ، وسميت أرض القمر لسطوعه فى ليل الصحرا ، وقد عاش إلى جانب أهل سيناء جماعات – فى الجنوب – من النصارى واليهود ، وحظيت سيناء بمكانة عظيمة لما تحويه من آثار دينية وتاريخية تتمثل فى وجود الأديرة والكنائس والمساجد ، فوجدنا "دير سانت كاترين " والذى يحوى مكتبة تضم آلاف المخطوطات الأثرية العظيمة باللغات السريانية واليونانية والعربية علاوة على وجود "الكنيسة الكبرى " وهى من أقدم الأثار المسيحية وتعرف بكنيسة "الإستمالة " وهى إحدى كنائس العالم الهامة إذ يرجع بناؤها إلى عهد الإمبراطور وجستنيان فى القرن السادس الميلاد ، كما توجد بها مكتبة "الأيقونات" التى تحوى صوراً زيتية للعهدين "القديم والحديث" كما توجد بها شجرة العليقة المقدسة داخل الدير حيث المكان الذى كلم موسى عليه السلام ربه فى وادى "طوى" كما ذكر فى القرأن الكريم : "واخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى" هذا إلى جانب الطريق الحربى القديم "طريق القنطرة– رفح " ويسمى طريق حورس ، وهو الطريق الذى استخدمه المسيحيون للحج إلى بيت المقدس وطريق المحمل " وقد عنى السلطان قنصوه الغورى (١٥٠١–١٥١٦م) بتمهيد هذا الطريق الذى استخدمته "شجرة الدر" عام ١٢٤٨م فى زيارة الأراضى الحجازية ، وكذلك طريق نخل لزيارة بيت الله الحرام .

---

(١) حاتم عبدالهادى السيد ، ثقافة البادية ، مركز الحضارة العربية ، صـــ ٢٠ .

كما يوجد وادى المغارة وبه تمثال سجير بناه الملك "سمرخت " أخر ملوك الأسر الفرعونية الأولى (٢٩١-٥٢٧٣ ق.م) تمجيداً لأله سيناء المقدس ، كما يوجد سيناء معبد "سرابيت الخادم " والذى يرجع بناؤه إلى الأسرة الثانية عشر ومابعدها ، كما يوجد بالمعبد كهف الأله هاتور " حت - خور" من عهد الملك سنفر ، وكهف الأله " صغدور " وهو من آثار الملكة حتشبسوت ، علاوة على وجود الكثير من الأثار الإغريقية والرومانية والبيزنطية وبعض القلاع كقلعة لحفن ، وقعلة المغارة ، وقلعة نخل ومعلقة صلاح الدين الأيوبى وقلعة سليمان القانونى " ١٥٦٠م" ، وقلعة المحمدية ، وقلعة الفرما شيدها المتوكل على الله وقلعة غربة السراطيل ، وقلعة البلاج وقلعة قاطية وقلعة الطينة وقلعة شاور " وقلعة جزيرة فرعون " (١)

وبظهور الإسلام واعتناق بدو سيناء انتشرت المساجد شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، كما انتشرت الزوايا والمعاهد الدنية .

ولقد كان بدو سيناء يدفنون موتاهم بجانب الأولياء الصالحين بتركاً مهم ، وكانوا يعتقدون بزيارة قبور الأولياء ويزورون البحر ويذبحون الشياه عنده ، كما كانوا يزورون بعض الأشجار ، ويعتقدون بالحسد والإصابة بالعين ، ولقد وجد العرافون ، ووجدت الرقى لدرء الشرور من الأوراح الخبيثة ومن الحيات والذئاب والضباع والنمو ، عنهم وكانوا يرقون أغنامهم ويقولون :

معزانا كورة كورة ، عليها قطيفة البنى منشورة وإذا جاء مـــن الـــوادى لجامـــة الهـــادى وإذا جاء مـــن العـــدوة لجامه هدمه وإذا جــــاء مـــن البطيـن لجامة شريط وفى آذانه فاس وفـــى رجليـــه فـــاس نرميه فى البحـــر الدواس بينـــه وبينـــه الخلـــة وسبع جمال محملـــة غلّة .

وواضح من أسلوب هذه الرقية أنها من وضع العرافين ، إذ يكثر فيها السجع والجناس وتقارب نهايات الفواصل واقترابها عموماً من الوزن الشعرى .

وكان يعتقدون فى العلاج بالكى ، وبالوصفات البلدية ، وقد تخصص بعضهم فى العلاج بالأعشاب الطبية مثل : المرمية والشيح والقيصوم وزيت الخروع والحنطل وغيرها

---

(١) د. قدرى يونس العبد، مطبوعات الهيئة الإقليمية لتنشيط السياحة ، محافظ شمال سيناء ١٩٨٣م

والبدو يسكنون الخيام وأهم أثاث خيامهم [١] " المسسنق ، الباطية ، الكرمية " الهناية والقدح والعزابيل والصاجات والحلل النحاسية والأغطية والفرش والمزاود والمخالى والخروج والقرب والغلارين وقد أجمل القران الكريم وصف مساكن البدو فى قوله تعالى : " وجعل لكم من جلود الماعز بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأشعارها أثاثاً لكم ومتعاً إلى حين " صدق الله العظيم

وترتدى النساء البرقع الذى يغطى الوجه ، كما يلبسن " القنعة " .. والداير " وهو عبارة عن ثوب اسود ، وقد احترف البدويات التطريز ووجدنا الوحدات الزخرفية الجميلة تغطى الثوب ، والفتاة – غالباً – تصنع ثوب العرس بنفسها والبدويات يُعلّقن فى أعناقهن عقوداً وحلياً من الخرز والفضة ويثقبن أنوفهن ليضعن " الشناف " وغالباً مايكون من الفضة والذهب، ويتعتى البدوى بالوشم مغازلاً مايقول شاعرهم وقد رأى فتاة جميلة متزينة فغازلها فأنشدته قائلة :

ولد يا راعى الشقرا   بتتلفت علامـــــــــــــك
ان كنت تريد الضيفة   ارعى العرب قدامك

فرد عليها قائلاً :

والله ما أريد الضيفه   ودى خضارو شامك

فهنا نقول له : إذا كنت تريد أن تتضايف أذى إلى أهلى فإنهم يْضيفونك لكنه أخبرها بأنه معجب بها وبجمالها وغالباً ما يكون الزواج من الأقارب إذ الفتاة – غالباً – ممسوكة لابن العم وإن اختلفت هذه العادة الآن فيذهب الفتى ويخطبها من أبيها أو عمها أو أخيها إذا كان والدها متوفياً فإذا وافقت الفتاة – لأنها تستشار – يقومون بعقد القران وهى عباره عن أخذ احد الأغصان الخضراء فيناوله ولى العرس للزوج ويقول له : " هذه قصلة " فلانه نسبه الله ورسوله أثمها وخطيتها فى رقبتك من الجوع والعرى ومن أى شىء نفسها فيه وأنت تقدر عليه ويرد الخاطب: قبلتها زوجة لى نسبه الله ورسوله فإذا ما تم ذلك تقام الأفراح ، وتذبح الذبائح ، وينصب السامر السيناوى ، ويعزف العازفون على أنغام : الربابة والمقرون والشبابة ، وتزغرد الفتيات ويتم الرقص فيرقصون الدحية والمشرقية والخوجار والرزعة وسيأتى ذكر ذلك تفصيلاً .

---

(١) نعوم شقير ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق صـــ ٣٧٣ .

القضاء العربى أهل بادية سيناء لايلجأون إلى الحكومة فى شىء فإذا وقعت واقعة ما فإنهم يلجأون إلى القاضى العرفى أو إلى شيخ القبيلة لحل المشاكل مهما كبرت أو صغرت وأمره نافذ ويجب أن يعمل به وإلا طرد الرافض للحكم من القبيلة وهذا النظام يعرف بالقضاء العرفى ولكل قضية قاض يحكم فيها ، فهناك المنشد ، القصاص ، والعقبى والزيادى والضريبى والمبشبع والمسوق وأهل قطاعات وأهل العرائس ولحاسة الختوم والحسباء أو نقالة العلوم ، وهؤلاء قضاة يحكمون فى قضايا مختلفة ، فالمنشد – مثلاً – يعرف بالمسعودى ويحكم فى قضايا تسويد الوجه ومس الشرف ، بينهما القصاص قاضى العقوبات والجروح ، والعقبى قاضى النساء والزيادى : قاضى الإبل والضريبى : قاضى الإحالة ، والمشبع قاضى الجرائم التى لاشهود لها ، والمشوق : قاضى الجمال وأهل القطاعات : قضاة الزراعة ، وأهل العرائش : قضاة النخيل ، ولحاسة الختوم : المشايخ المعينو من قبل الحكومة لأنهم يستخدمون الختم بلحسه – إذ أنه أغلب البدو لايقرأون ولايكتبون فلكل ختمه مكتوب عليه اسمه بينما الحسياء : أهل الخبرة فى المسائل التى تتعلق بتقاليد العرب .

والقضاء صارم جداً ، فّا لم يلتزم به المحكوم عليه طرد من القبيلة كلها ، وغالباً ما يحترم حكم القاضى ويوفى بما حكم ، وإذا لم يستطيع الوفاء فإن أهله أو قبيلته يوفون بالحكم .

أدب الباديـــة
الشعر البدوى فى سيناء

بدو سيناء أهل سمر ومغنى ، ولكن قبل أن نتحدث عن آدب البادية لابد أن تناقش قضية لفظية مهمة ، فقد يحلو للبعض تسمية شعر البادية السيناوى بالشعر النبطى وهذه تسمية يخالطها اللغط والشك ، ولكن قبل الحكم على ذلك لابد أن ننافس القضية من شتى الجوانب " اللغوية والتاريخية ، والأنثر وبولوجية وغيرها " [١] .

يقول الشيخ الإمام " محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى – رحمه الله – فى معجمة العوى " مختار الصحاح : بأن نبط " ن ب ط " الماء نبع وبانه دخل وحبس ، والاستنباط " الاستخراج .. والنبط بفتحين و " النبط " قوم ينزلون بالبطائح بين العراقين والجمع " أنباط " يقال : رجل نبطى " ونباطى " " ونباط " يقال " رجل نبطى " ونباطى " ونباطى " ونباط " " زنباط " مثل : " يمنى "ويمانى " " ويمان" وحكى يعقوب " نباطى " بضم النون[٢] .

ولقد استقر النبط فى مدينة سلع (البتراء PETRA) أو بطرا بوادى موسى وهو أحد فروع وادى عربة وسميت بترا أى الحجر وسميت البلاد التى حولها " أرابيا بترا " أى البلاد العربية الحجرية .

ومدخل المدينة عبارة عن مضيف حجرى يعرف " بالسيف " وفى نهايته فيفرج الوادى عن الجانبين نحو كيلو متر وفى هذا المتفرج معظم أمنية اليتراء ، وأكثر المنازل مسخوتة فى الصخر ، وكانت البتراء عاصمة مملكة أدوم القديمة ، ثم حل محلهم النبط وامتدت مملكة النبط من بادية الشام الى خليج السويس فشملت شمال غرب جزيرة العرب وجزيرة سيناء

ولقد امتدت مملكتهم فى (الحجرْ) حاضرتهم الجنوبية ، وبُصرى نحوران فى الشام عاصمتهم الشمالية ، وما يتصل بهذه الجهات فى رق الأردن وجبل الدروز وكان جغرافيو اليونان والرومان يقولون : ان الجزيرة العربية تنقسم الى ثلاثة أقسام : العربية الصحراوية والعربية الصخرية أو الحجرية والعربية السعيدة [٣] .

---

(١) حاتم عبدالهادى السيد ، ثقافة البادية ، مركز الحضارة العربية ، صـــ ٢٧ .
(٢) أبو بكر الرازى ، مختار الصحاح ، طبعة مختصرة ، القاهرة ١٩٧٠ .
(٣) شوقى ضيف ، العصر الجاهلى ، مرجع سابق صـــ ١٨/١٧ .

والعربية الصخرية كانوا يطلقون على شبه جزيرة سيناء والمرتفعات الجبلية المتصلقة فى شمالى الحجاز وجنوب البحر الميت : وهى التى أقام فيها النبط مملكتهم واتخذوا مدينة سلع (بطرا) حاضرة لهم [١] .

وقد حكم مملكة النبط ثلاثة عشر ملكاً بدأت بالملك الحادث الأول سنة ١٦٩ ق . م وانتهت باللم " مالك الثالثسنة ١٠٦م أى عاشت مملكة النبط رابة ٢٧٥ سنة ، وموقع مملكة البتراء الآن – كما يقول شوقى ضيف – فى وادى موسى فى جنوب فلسطين ، واتخذوا من الحجرْ وموضعها – الآن – مملك صالح حاضرة لهم عاشت حتى عام ١٠٦م الى أن قوضها الرومان ، ولكن النبط عادوا الظهور فى ترم وكونوا بها مارة ظلت الى سنة ٢٧٣م وظهرت من ملكاتهم "زنوبيا" التى أسرها الرومان ودمروا حاضرتها تدميراً وبذلك انتهى تاريخ النبط[١].

وقد اختلف المؤرخون فى أصل النبط فقال فريق : انهم آراميون وقال فريق آخر : بأنهم عرب ولكل منهم حجته . فالقائلون بأنهم " آرمبين " يحتجون الى أن لغة النبط آرمية وان لفظ النبط عند العرب يطلق على أهل العراق . وأما القائلون بأنهم عرب فحجتهم : بأن مؤرخى اليونان واليهود الذين كتبوا عنهم سموهم عرباً ، وكذلك نجد النبط يستعملون أداة التعريف (أل) علاوه على أن أسماء ملوكهم كلها عربية محضة كالحارث وزيد وعبادة ومالك وربيال . وقد ذكر لنا المؤرخ الانجليزى " شارب " أن النبط هم أنفسهم الأدوميون . لكننا نرى غوم شقير في حديثه عن القلم البنطى والأقلام الشرقية يؤيد الرأى القائل بأن النبط عرب فى قوله " وأما كون النبط قد كتبوا باللغة الآرامية فليس بدليل على أنهم " آراميون " إذ أن لغته التدوين عند قوم لاتدل دائماً على جنسهم ولغتهم . ويضبف : " أن جميع ان المتكلمين باللغة العربية الآن على اختلاف لهجاتهم وأجناسهم يكتبون باللغة الفصحى التى هى لغة قريش ، وليست قريشاً إلا فرعاً صغيراً منهم، بل أن كثيراً من متكلمى اللغة العربية – الآن – أعاجم أصلاً وفرعاً . ثم أناللغة اللاتينية (لغة الدولة الرومانية) ظلت لغة العلموالنقش على الآثار فى أوربا كلها أجيالاً بعد ذهاب دولتها [٢] .

---

(١) نعوم شقير ، مرجع سابق صـــ ٤٥٩ / ٤٦٢ .
(٢) شوقى ضيف ، مرجع سابق ، صـــ ٢٧٥ .

ويورد – أيضاً – أقوالاً شتى منها قوله : " يقول العارفون بالخطوط العربية أن العرب قديماً كانوا فى بلاد سبأ واليمن يكتبون بالقلم الجيرى أو المسند وأما فى الحجاز فلم يكن لهم قلم يكن لهم قلم يكتبون به حتى نزل " حرب بن أمية " القرش جد معاوية بنأبى سفيان الحيرة فر أى أهلها يكتبون العربية بالقلم الآرامى النبطى فنقل هذا القلم الى الحجاز وذلك قبل الاسلام بقليل ولما ظهر الاسلاملميكن هناك من يحسن الخط فى مكة والمدينة الا نفر معدود . ثم بنيت الكوفة وذهبت فى صدر الاسلام فاشهر القلم العربى باسم القلم الكوفى وانتشر فى البلاد الاسلامية كلها . وفى العصر الاسلام تم الابتكار فى الخط فأهمل الخط الكوفى . وفى عصر الدولة العثمانية اشتهرت فيها القاعدة الفارسية والرقعة ثم ظهر خط النسخ والثلث . واذا كانت اللغة الآرمية البنطية – كما يقال – هى لغة التدوين فى جميع بلاد العراق وسوريا وشمال الهيروغليفى ثم القلم الهيراطيقس والقلم الديموطيفى والقلم القبطى وأن العرب استخدموا القلم الآرمى البنطى حتى قيام الاسلام وانتشار القلمالعربى (الكوفى) فإن كل ذلك لايمنع أن ننافس بعقلانية وبهدوء شديد نسبة الشعر الموجود فى شبه جزيرة سيناء وبادية الشام والجزيرة االعربية البلدان العربية المجاورة وذلك بأن نسبة الى مملكة النبط فتسمية " الشعر النبطى " والذى يسمى الآن فى الجزيرة العربية بل وفى سيناء أيضاً،أو ننسبه الى الشعر البدوى الذى ينسب بالطبعالى العربية لكون الكان القاطنين فى هه الدول والممالك تكلمون اللغة العربية!!

كذلك لا يعقل – بداهة – أن مملكة كالنبط كلها من عام ١٦٩ ق.م إلى عام ١٠٦ م أى حوالى ٢٧٥ عاماً يمكن أن أن تؤثر فى تاريخ اللعنات المحيطة ولهجاتها بحيث تلغيها وتحل محلها . واذا كان النبط يرجعون فى أصولهم الى سام بن نوح أى يتمتعون الى العرب البائدة أو العارية أقول لا يعقل أن تنمحى جميع اللغات بحيث تكون لها السيطرة وذلك لسهولة نحوها ، بينما اللغة العربية هى أقرب اخواتها الكلدانية والسريانية أو الآرمية والعبرانية والحبشية الى الغةالساميةالأصلية،وكذلك ليس معنى هذا ان أهل بادية سيناء قد تكلموا- كلهم-بالآرامية وكتبوا تاريخهم وأشعاترهم بالآرامية ليتركوا لغتهم الأصلية ، كما أن البنط قد خلقوا مملكة أدوم وانهم كما ذكرهم" ديودورس " عشرة آلاف مقاتل سكنوا البتداء واستولوا على طرق التجارة فى يناء وكانوا يزورن الأماكن المقدمة فى جبل موسى وجبل سربال أى أن النبط لم يشكلوا الورد الأعظم فى سيناء وإن كانت لهم مع ذلكالغلبة والقوة،اذن اللغة العربية كانت

(١) شوقى ضيف ، مرجع سابق ، صـــ ٢٧٥ .

موجودة الى جانب الآرامية وليس من السهل على البدوى ان يدمج اللغتين مع بعضهماحتى لو كان هؤلاء النبط عرب وينتمون الى سام مننوح (العرب البائدة) وكذلك لايمكن ان تتكر أن من العرب فى سيناء قد تعلم الآرامية وتكلم بها بحكم الجوار والمعاملات التجارية وغيرها ولكن ليس معنى هذا أنه قد هجر لغته الى لغة القادم المحتل . ثم يجوز انيقبل العقل أن لكل مملكة شعرها وأدبها لذلك لايرفض العقل وجود هذه الآلات والا لما كانت الآرامية لغة سائدة وسامية ، كذلك فالعقل يقبل بوجود الشعر النبطى بسيناء ولكنهكان محصوراً على المناطق التى احتلها النبط ، ولكن ليس معنى هذا صبغ الشعر العربى كله من أقصى الجزيرة العربية الى اطراف سيناء بالصبعة الآرامية والا لو قطعنا بذلك فإننا نلغى العقل ونسبح فى قضاء الجنون .

ولكن يمكن ان نجزم بوجود الشعر النبطى فى سيناء مرسوماً باللغة الآرامية ، علاوه على وجود الشعر البدوى المرسوم باللغة العربية والرسمهنا يعنى الكتابة والنقل الشفاهى .

ومن كل هذا راودنى سؤال [1] : هل شعر بادية سيناء شعر نبطى أم شعر بدوى عربى ، مع اعتبار ان النبط هم عرب وأن الخط العريس هو فى الأساس قدر تطور عن الخط الآرامى ؟! تلك قضية شائكة لايمكن حسمها بفرضيات وانما يجب تقديم الدليل المنطقى والتاريخى حتى يمكن الحكم على ما يكتبه بدو سيناء وبدو الجزيرة العربية بأنه شعر نبطى أو بدوى ينتمى الى اللهجة العربية الخالصة واعنى اللهجة العربية - أم أنه شعر نبطى الحى النبط الذين يتكلون الآرامية ولكن مع هذا وجدت نفسى أقول : لننظر الى شعر اعراب بادية سيناء - الآن - وليس فى القديم فحسب ونرى هل لهجة هذا الشعر عربية صرفه أم نبطة صرفه ، أم عربية نبطية ؟ ! وبالطبع تكون الاجابة اذ أن الشعر المكتوب الآن شعر بدوى القديم تكون الإجابة كذلك فنبطة ، بمعنى أن الأنباط من العرب البائدةالذين طمست لغتهم وأشعارهم ولم نعثر الى الآن على نماذج نبطة باستثناء بعض النفوس النبطية التى عثر عليها كنقش النمارةالذى اكتشفه دوسو وماكلر لسنة ١٩٠١م على بعد ميل من النماذج القائمة على اطلال معبد رومانى شرقى جبل الدروز ، وبالقرب من الأماكن التى عثر على الكتابات الصوفية ، وقد كتب شاهداً لقبر ملكمن الملكوك اللخسيين يسمى امرأ القيس بن عمرو ، وأدخبشهر كلول من سنة ٢٢٣ بتقويم بصرى وهو يوافق شهر كانون الأول (ديسمبر) [2] من سنة ٣٢٨م وهذا نصه :

---

(١) حاتم عبدالهادى السيد ، ثقافة البادية ، مرجع سابق ، صــ ٢٨ .
(٢) شوقى ضيف ، مرجع سابق ، صــ ٣٦-٣٧ .

فى نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج وملك الأسوين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكرى وجا يزجى فى حبج نجران مدينة شمر وملكمعدو ونزل بنيه الشعوب ووكلهم فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغة عكرى هلك سنة ٢٢٣ يوم٧ سبكول بلسعد ذو ولده .
ويقول شوقى ضيف [١] وواضح أن النص يمثل طوراً اللغة العربية التى نزل بها القرأن الكريم فكلماته جميعاً عربية ماعدا كلمة بر الآرامية ، وقد استخدمت فيه أل أداة لتغريف واذا ما أردنا أن نكتبه ونقربه الى لغتنا اليوم كتيناه هعلى هذا النحو : هذه نفس (قبر) ارئ القيس بن عمرو ملك العرب كلها الذى عقد التاج وملك قبيلتى اسد ونزاداً وملوكهم وشتت مزحجاً بالقوة وجاء باندفاع (بانتصار) فى مشارف نجران مدينة شمر . وملك معداً وولى بنيه الشعوب ، ووكله الرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه فى القوة هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ من كلول ليسعد الذى ولده .

وأيضاً وجدنا فى زبد الواقعة جنوبى شرق حلب نقشاً وجد على باب أحد المعابد هناك ك أرخ سنة ٥١٢م وفيه نرى خصائص الكتابة الجاهلية تتكامل ومعنى هذا كله انالخط العربى نشأ من الخط النبطى وتطور حتى أخذ صيغته النهائية من أوائل القرن السادس الميلادى .

ومع كلام شوقى ضيف الذى لاذميل اليه مطلقاً اذ أن وجود هذه النفوس النبطة وتحليلها الى العربية لايعنى ان الخط العربى تطور منالنبطة الآرامية الى العربية الخالصة (الحجاز) الا اننى اقطع بعدم عثورنا على شعر نبطى آرمى كنصوص يمكن ان تخدمها فى هذا البحث الذى نحن بصددهاالآن . وعدم عثورنا - أيضاً - على نصوص شعرية أرامية لا ينبغى الافتراض القائل : بأن لكل أمة أو شعب لغتها وأدبها وشعرها ونثرها ولكنها لم تعثر على ذلك لأننا عرفنا من خلال التاريخ أن الأنباط هم من العرب البائدة أى الذين بادوا وطمست لغتهم وأشعارهم ومعارفهم ، وليس اكتشافنا لبعض النفوس تجعلنا نقطع بأن شعرنا العرب أو لغتنا قد تطورت من الآرامية وانتهت إلى ما انتهت اليه ، والدليل العقلى والنقلى هو الواجب أن نتبعه وليس الفرض وتحليله هو القاعدة .

من كل هذا وغيره يمكن لنا أن نسمى شعرنا فى بادية سيناء والجزيرة العربية بالشعر العربى أو الشعر الجزيرة العربية أو الشعر السيناوى أو البدوى وليس كذلك الشعر النبطى .
ولنا أن ننظر الى عهدة النبوة ، فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم لسان ولغة القبائل التى لم تكن تتكلم بالعربية خاصة إذا ظهر بين هؤلاء غير شاعر كان ينظم بالعربية مثل كعب بن الاشرف [١] وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب الوفود التى

كانت تفد عليه بلهجتهم كقوله فى الحديث الشريف : " ليس من أم بر أم صيام فى أم سفر " أى ليس من البر الصيام فى السفر " وهذه اللهجات تختلف من قبيلة لأخرى ولكن ليس معنى اختلاف اللهجات أن ننسب تاريخ ولغة العرب الى النبط ، وأن كنانؤ من بقضية تطور اللغات وسموتها .

ثم اذا نظرنا الى الجزيرة العربية فإننا نجد أن عبادة الأصنام قد انتشرت قبيل الإسلام كما فى قوله تعالى : أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الكبرى " وقوله تعالى : " ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا " . صدق الله العظيم

وقد وجد الرسول صلى الله عليه وسلم عند فتح مكة ثلاثمائة وستون صنماً [١] والمعروف أن كل قبيلة كانت تعبد صنماً أو صنمين ومن هذه الأصنام ذو الشَّرَى والذى كان له معبد ضخم فى سلع (بَطرا) [٢] ويظهر أن عبادتته قديمة ، وهو يتناول الإله ديونسبوس عند اليونان اله الحضب والخمر ومن الهتهم رضا واللا ومعناة وبعل وشبع هقوم وهو اله مشهور عند النب ومعنى ذلك أن أهل سلع أو البطرا ، كانوا يعبدون الأصنام كغيرهم من اللعرب ولكن عدم عثورنا على نصوص شعرية نحتكم اليها أو عدم وجود ذكرلهم فى القرآن أو الحديث الشريف أو قصص البادية تجعلنا لا نؤيد الظن بانتساب شعرنا القديم الى البنط الذين يتكلمون الآرامية .

ومع أن النبط عرب شماليون كانوا يتكلمون العربية الشمالية فى أحاديثهم اليومية واختلطوا بالآرامية وكتبوا بأبجديتهم إلا أنهم احتفظوا بلغتهم الأصلية ومعنى ذلك أن الآرامية داخلية على العربية وليست عربية وقد خالط العرب الروم والمصرين والعبرين فظهرت فى نفوسهم أسماء ملكية أخذوها منهم وان ظلت اللغة الآرمية هى السائدة فى كتاباتهم وليس معنى ذلك انطماس لعنتهم العربية .

ولنا أن ننظر الى نفوسهم النبط فنجدها تختلف اختلافاً واضحاً عن نفوس اللحيانين والنموزدين والصفويين فى استخدامهم لأداة التعريف العربية (أل) فبينما ييشيع عند النبط استخدام (الهاء) فى التعريف)

---

(١) انظر البلاذرى ، (طبعة أوروبا) صـــ ٤٧٤ .

(٢) ابن الأثير (الجزء الثانى فى ذكر فتح مكه) ، انظر شوقى ضيف مرجع سابق صـــ ٣٧/٣٦ وانظر تاج العروس صـــ ٣٧ .

إلا أن أل هى الشائعة عند أصحاب المجموعة الثانية من اللحياتين والنموديين والصفويين وهى المعروفة فى مصخانا ،على انهم كانوا يجارون الآرمين فى تعريفهم الكلمات بإلساف الف فى نهايتها فقد نجدهم يكتبون القبر (قبرا) والمسجد (مسجداً) ولكن الغابعليهم استخدام (أل) التعريف العربية وقد ميزوا فى نفوسهم بين الأعلام الممنوعة من الصرف المصروفة فكانوا يضيفون للأجيرة واوأدلالة على تنويعها ، مما يقيت آثاره فى الحط العربى مثل عمرو وعمر . وهاتان الظاهرتان : أى استخدام ألفى التعريف والواو فى آخر الأعلام المصروفة يقرب بينهذه اللهجة والفحص الجاهلية . ومما يلاحظ أنهم يكتفون أحياناً فى كتابة أل باللام وحدها فيقولون أو يكتبون عبد البعل هكذا عبد لعبلى بحذف الألف ، وكأنهم سهلوها وجعلوها همزة وصل لاقطع وإذا رجعنا الى خصائص هه اللهجة وجدناها حقاً شديدة الصلة باللغة الجاهلية ، فهى لاتكاد تفرق عنها فى أبواب الضمير والفعل وأسماء الإشارة والأسماء الموصلة والنسية والتصغير وحروف الجر والعطف وكذلك الشأن فى التذكير والتأنيث للاسم والفعل .ونجدهم يذكرون من آلهتهم الله جلّ وعز . وترو فى نفوسهم كلمات عربية كثيرة مثل : سلام ونر ونور وحسب وخلد وحسن ولطف ورعوف وسعود ومرأة وأمة وعبد ورب وسعد ، ويتقدم قبل أنه لا يشرب الخمر وكذلك عبادوه .

اسم القيلة لقط أل أو بنى مثل : آل قصى وبنى سهم : واسترج ليتمان من نقوشهم ثلاثمائة اسم مع الأسماء اللعربية وهى مدونة فى كتابة : (NABATDEAN INSCRIPTIONS) من مثل : آمين ، أمة ، أمة الله ، أوسى ، اياس ، أوس الله ، أوسى البعل ، بدر ، نكبر ، يتم ، يتم الله ، يتم ذو شرا . يعنى عبد ذى الشرا ، جزيمة ، جزم ، جمل ، حجر ، حارث ، حارثة ، حنظل ، حيان ، رجب ، زيد ، سبع اسعد ، سلم ، مسلم ، سكينة ، مية ، أسود ، صعب ، عدى ، قرب ، على ، عر ، عمير ، عميرة ، عياض ، غالب ، غانم ، غوث ، مغير ، فهر ، قصى ،كعب ، لخمة ، مجد ، امرؤ الله ، امرؤ العيش ، معنى ، مالك ، نصر ، نزار ، معنيمة ، تقيب ، تنوح ، هانئ ، وائل ، وحش ، وهب ، وهباً ، وهب الله . ويضيف شوقى ضيف : والنطة بذلك كله تعدو وثيقة الصلة بعرية الجاهلية ، وهو طور قريب منها قرياً شديداً . ومن المؤكد أن اعرب أخذوا يتطورون بالخط ابنطى مشتعين منه خطهم العربى (١) .

---

(١) شوقى ضيف ، مرجع سابق ، صـــ ١١٦/١١٧ .

ولا أدرى من أين حضر يتمان هذه الأسماء ، هل من اللنفوس الموجودة التى عثر عليها ؟ أم من التلمود أو ازبور أو من اتوراة أو الانجيل ؟ ومع هذا يبقى الؤال : هل تكفى هذه النفوس نسبة شعرنا للنبط ؟

فيصبح أن اللغة الآرمية النبطة تقرب - كما اسلفنا - من اللغة اعربية إلا أن ذلك لايعد ذريعة لاتناسب شعرنا ولغتنا للنبط . وليس فى كلام شوقى ضيف صحة مؤكدة لتطور الخط اعربى وانبثاقه من الخط الآرمى والدليل من شوقى ضيف نفسه الذى يعود عند حديثة عن نشوء الفحص فيقول : ليس من السهل تحديد الزمن اذى اتخذت فيه لغتنا اعربية شكلها النهائى اذى تصويره الفحص الجاهلية ، وهو شكل كامل البضح سواء من حيث الإعراب والتصرف والاشتقاق أو من حيث التنويع والواسع فى المجموع والمصادر وحروف العط وأدوات الاستثناء والنفى والتعريف والتنكير والانتهاء بالممنوع من الصرف الى نظام بها لغة مضافاً الى ذلك احتفاظها بحروف ومخارج لم تحتفظ بها لغة سامية احتفاظاً كاملاً ، وهى الثاء والخاء والذال والظاء والضاد والغين .

ثم يضيف قائلاً : وهذه الصورة لفصحانا لم تصل اليها الا بعدم مراحل طويلة من النمو والتطور وقد رأينا نمتذج منها فى نفوس حتيت بأبجدية مشتقة من ابجدية المسند الجنوبى ، وهى نفوس النموذجين واللحياتين والصفويين ، ونفوس أخرى كتتب بأبجدية الآرمية ، وهى نفوس النبطين ، غير أنها جنميعاً لاتصور هذا التكامل اذى انتهت اليه الفحص ، والذى تمثله نصوص العصر الجاهلي منذ أواخر الرن الخامس الميلادى ، وأوائل السادس فهلتم كذلك التشكل النهائى مع ظهور الشعر الجاهلي أو أن ذلك تم فى حقب أبعد منه ؟

ثم يعود بنا شوقى ضيف ويقول : وليت الإجابة على هذا اسؤال سهلة يسيره ، لسبب بسيط أو طبيعى ، وهو أنه ليس من أيدينا نفوس كثيرة نستطيع أن نعرف منها بالضبط ازمن اذى يعد بدءاً حقيقياً للفصحى .

ولكن غاب عن استاذنا - شوقى ضيف - فى حديثه عن نشوء الفحص وأنها تعتبر امتداداً للنبط مع أن النبط هؤلاء من العرب البائدة ونحن لانعرف تحديداً المدة الزمنية بين العرب البائدة وظهور الإسلام ، فربما كان العصر الجاهلى هو عصرر هذه العرب البائدة وإذا صح هذا الغرض كذلك فإن نشوء الفحص وتكاملها يعد طفرة ظهرت فجأة فى تاريخ اللغة وهذا

---

(١) شوقى ضيف ، مرجع سابق ، صـــ ١١٨ .

ما يرفضه العقل وترفضه نظريات نشوء وتطور اللغة جميعها .اذن يمكننى أن أقول بأن هناك حلقة منقودة بين عصر العرب البائدة والعصر الجاهلى وبين عصر الاسلام لانعرف عنها شيئاً بدليل أن العصر الجاهلى نفسه غير معروف زمنياً وأن كان المؤرخون قد اجمعوا - فرضاً - على اعتباره الفترة التى سقت الإسلام بمائه وخمسين سنة أو مائتين سنة على وجه التحديد وهذه افتراضا ضمنية لا أساس لها فى التاريخ العلمى الذى علم من العلوم .

وبذلك يمكننا أن نقول ان نشوء الفحص ارتبط بمراحل متأخرة وسابقة لم تكتشف بعد وبذلك يصبح التفسير المنططقى لنشوء الشعر الجاهلى وتكامله سراً من الأسرار لم يكشف عنها الستار بعد .

وبذلك لايمكن لنا بأية حال من الأحوال نسبة لغتنا وشعرنا الى النبط والول بأن الفحص الحالية نشات نتيجة لتطور الآرامية أو غيرها وإلا فليسعطنا الباحثون نماذجياً أو تفسيراً منطقياً يمكن أن نعول عليه فى نشأة اللغة العربية .

وبذلك تكون النتيجة المنطقية عدمك نسبة الشعر البدوى - إلى الآن - الى النبط أو الى الآرميين ويمكن أن نطلق عليه تسمية عربية مختلفة تمز اعرب عن النبط وتميز العربية عن الآرمية .

ثم إذا يحدثنا فى التاريخ القديم فإننانجد أن اللنبط قد تفروا فى ممالك غرب أسيا بعد سقوط مملكتهم فانتشرت لغتهم وثقافتهم وحضارتهم واتخذت العراق وايران من لغتهم لغة رمية وذلك لسهولة نجوها وأبجديتها وقدكتبت الأناجيل بالآرمية واستخدمها هواريو المسيح وكتبت بها معظم المؤلفات الدينية لكنائس الشرقية وذذلك لما لها من لهجات عدة أهمها : السريانية التى كانت منتشرة فيما بين النهرين ، وقد اتخذتها المسيحية لغة ادبية لها بجانب اليونانية ، ومن لهجاتها أيضاً الصائبة فيما بين النهرين وقد ظلت بلهجتها امختلة لغة حين فى الشرق الأوسط الى أن جاء الاسلام فقضت عليها وعلى لهجاتها لغة القآن الكريم ، وأن ظلت معروة فى بعض البيئات [1] ولنا أن نرد أيضاً على ذلك بأن الاسلام ولغة القرآن هى لغة إعراب يقول تعالى : " بلسان عربى مبين " وقوله تعالى " بلسان غير ذى عوج " أى كيف يقضى الاسلام بين يوم وليلة على لغة سادت فى الممالك القديمة وكتبت بها الأناجيل وانتشرت ، ثم كيف يمكن للغة الإسلام أن تقضى عليها والفصحى كما يقال هى تطور عن الآرامية ؟ !

---

(١) شوقى ضيف ، مرجع سابق ، صـــ ٢٥ .

هذا أيضاً يؤكد ما ذهبنا اليه – آنفاً – من أن هناك حلقة مفقودة من تاريخ اللغة وسابقة على الاسلام بمراحل زمنية موغلة فى القدم ، وإلا فإن ظهور الشعر الجاهلى ولغة القرآن هى نبت شيطانى وهذا مالا يتصوره عقل أو تدل عليه نظرية من نظريات النشوء والارتقاء إذ أن اللغة مرتبطة بالتاريخ الإنسانى على وجه الأرض وييتطور الانسان بلغته ويهبها حسب ظروف مجتمعه المعيشية لغة البدو تختلف عن أهل الحضر عن أهل اريف ... ألخ .

من كل هذا يمكن ان نقف بالقلم عن هذا الحد ونقول : يجب اعادة النظر فى اللغات الشرقية جميعها وفى تاريخها حتى يمكن أن نحدد نشوء وتطور اللغة وهذا يحتاج الى بحث وتنقيب فى الفترة التى ستيقت ظهور الاسلام ولا ندع مجالاً لتخمين أو تحليل يضللنا أو يأخذ بنا الى مناح عرقية أو مذهبية متصور لأنفسنا تاريخاً لم تثبته النظريات العلمية ، فحرى بنا أن تتوخى الدقة والحذر وأن تقب عن هذذه الحلقة المقودة من تراث اللغة فى العالم أجمع وليس لغتمنا العربية فحسب .

من كل هذا نستطيع أن نلخص الى ان الضمير الأدبى والعقل العلمى لا يمكنها تسمية الموجود ففى بادية سيناء بالشعر انطى الآرمى ، وتكون التسمية الحقيقية لهذا الشعر : الشعر البدوى السيناوى ، أو الشعر العربى فى بادية سيناء وغيرها من التسميات ، وهذا الشعر عربى بلغة عربية فصيحة متوارثة شفاهة جيلاً بعد جيل ، فلم يعرف كلهم البدو القراءة والكتابة ولكن ذاكرة البدوى كانت أكبر مدون لها الشعر ولايمكن أن يتم توارث الشعر شفاهة من اذاكرة ويرويه الجيل الذى يليه بلغة أخرى .

كذلك تجدر الإشارة الى أن الشعر البدوى فى سيناء – والذى نحن بصدود دراسته – لا يمكن أن نطلق عليه شعراً شعبياً كما يحلو لدراسى الآدب الشعبية الآن وإن كان شعراً لهجياً فى المقام الأول وذلك لكونه يستمد مادته وأغراضه من اللغة العربية ومن الشعر العرى القديم ، وكذلك لايمكن أن نطلق عليه الشعر الشعبى أو الآدب الشعبى وذلك لأن الكتاب الشعبين قد اشترطوا اجى وليه المؤلف لأننا وجدنا أن الذاكرة البدوية حفظت لنا أسماء قائلين ، علاوه على أن أغلب نصوص هذا الشعر معلومة المؤلف بل أن بعضهؤلاء المؤلفين لايزالون يعيشون بيننا – الآن – فى شبه جزيرة سيناء .

إذن هو شعر بدوى – وأرى – أنه يتوازى مع الشعر العربى القديم فى أغراضه واستهلال قصائده أو فى معناه ومبناه كلية ، وهذا الشعر البدوى حلقة مفقودة من تراثنا الشعرى البدوى المصرى طمستها ظروف سياسية وتارخية واجتماعية ، واليوم إذ نكشف عنه الستار ونقدمه للقارئ المصرى والعربى انما نفعل ذلك من أجل الحفاظ على جزء من التراث الشعرى المصرى الغائب عن الذاكرة المصرية ، ونحن نعلم – مسبقاً – بأننا سنلقى انتقادات واسعة أو ورفضاً مطلقاً أو تأييداً على مضض ، ولكن حسبنا فى كل هذا أن نحافظ على تراثنا وتاريخنا الشعرى ، وأن نقدم ما ينفع ويعين فى القاء الضوء على تلك البقعة التى لاقت العزلة عبر سنين طويلة من تاريخ شبه جزيرة سيناء .